

وكان عبد المطلب يحب أن يأخذ أبناءه بالمراس في أساليب التجارة فكان يرسلهم واحدا بعد واحد في رحلة الشتاء والصيف . فلما كانت هذه الرحلة وقع اختياره فيها على عبد الله (١) .

كانت هذه الرحلة - في هذه المرة - قاصدة الى بلاد الشام . وكان الوقت صيفا والحر شديدا والسفر مضميا . وكانت ظروف عبد الله - كلها - تدعو الى الإقامة . ولكن عبد الله لم يشأ أن يخالف أمر أبيه ، واندفع مع القافلة في الصحراء المترامية الاطراف ، متعرضا لآخطارها ومشقاتها . وترك وراءه زوجته وهي حديثة عرس به .

وانطلقت القافلة في طريقها الى الشام تقطع الفيافي البعيدة ، وتصطلى وقددة الشمس التي تذيب الروءوس . وحرارة العطش التي تفتت الاكباد . وتعانى من قسوة الصحراء ماتعانى حتى وصلت الى أسواق الشام ، فباعته مامعها . واشترت حاجتها ثم قفلت راجعة من حيث جاءت حتى وصلت في طريقها الى مدينة يثرب .

وكان عبد الله قد مرض أثناء الطريق . وأنهك قواه طول السير في الصحراء . فأوى الى أخوال أبيه في المدينة ليستجم ويستريح ويقوم عندهم أياما حتى يبيل (٢) من مرضه . أما القافلة فقد تركت رفيقها عبد الله عند أخواله وواصلت سيرها الى مكة لتصل اليها في الموعد المعتاد .

وكان آل عبد المطلب قد تهيئوا للقاء هذه القافلة كما تهيأ للقائهم غيرهم ودخلت القافلة مكة يحيط بها جمع حاشد من الشباب . وهلل الناس واندفع كل حبيب الى حبيبه يعانقه ويقبله . وأخذ عبد المطلب يدور بعينيه في القادمين . يحاول أن يرى ولده عبد الله فلا يراه . ويسأل . . . أين عبد الله يا قوم ؟ .

قال قائلهم : لقد مرض عبد الله في الطريق . وتخلف عند أخواله في يثرب ليستريح عندهم أياما ثم يعود .

وفوجئ عبد المطلب بما لم يتوقع . ولكنه لم يلبث أن تمالك نفسه . وأمر ولده الحارث أن يذهب على الفور الى يثرب ليحمل أخاه عبد الله قد مات ودفن هناك عند أخواله . فعاد الى مكة وألقى الى أبيه بالنبأ المشؤم . فاضطرب عبد المطلب له اضطرابا شديدا . وتحير كيف يلقي هذا النبأ الفاجع الى آمنة بنت وهب . الا أن آمنة أدركت كل شيء وعرفت كل شيء حين نظرت الى وجه الشيخ . وكانت حينئذ حاملا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) صور من حياة الرسول ص ٤٠ وما بعدها .

(٢) يبيل : يشفى .